

اعاجيب النقد الحديث

نظرة في « ادب » جرائدنا البيروتية

لا تخلو جريدة بيروتية من « صفحة ادب » او « زاوية ادب »
 عودتها قراءها مرة او مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع ، قلنا :
 لقد اصحح الادب في جرائدنا ما افسدته السياسة . ولكن سرمان
 ما نجحنا : انتصار السياسة على الادب ، اذ ادخلت هذه فسادها فانزلت النعمة
 المرجاة منه . مصيبة دهما . على الادب الصحيح وانصاره . ومن مصائب الادب
 الجرنالي الحديث هذا الاسلوب النقدي الذي تطور على صفحات الجرائد ونشا
 وازدهر في كتابين صغيرين : « انتم الشعراء » ، و « اجل نحن الشعراء » .
 ولا ادري امديتنا « بانتم الشعراء »^١ ام « باجل نحن الشعراء »^٢ هي
 اكبر ؟ وذلك لانني لا ادري من يكون اوفر مسؤولية امر مختط الطريق ام
 متبعه عليها .

لقد اسفنا قبل كل شيء . للريحاني يبط من مستوى «ملوك العرب» وتاريخ
 نجد الحديث « الى مستوى « انتم الشعراء » ، الى هذه الدرسة من المفاضة
 والابتدال . ولقد كان من المحتمل ان نخفي عن « انتم الشعراء » لولا ما احده
 من نتائج سيئة في الاسلوب النقدي في لبناننا هذا الصغير .

ما كاد هذا الكتيب يصدر من عن الآلة الطابعة حتى تناولته ايدي
 المشوقين ، وعلت من كل فجع وصوب اصوات الاستحسان والامتهجان . لقد
 انشأ مناصرو الريحاني ومريدو افكاره مقالات كانوا مقالات « انتم الشعراء »
 يوجهها واسلوبها ؟ واصدر معاكسه ومتبعو آرائه مقالات ومؤلفات كانوا « انتم

(١) « انتم الشعراء » بقلم امين الريحاني - ١٢ ص . - مترجمة صغيرة ، مطبعة الكشاف ،

بيروت ١٩٣٣

(٢) « اجل نحن الشعراء » بقلم ا . ا . معروض ، طابوس نفسه ، سجر معروض - ١٢٣

ص . بالمعجم نفسه ، مطبعة خليفه اخوان ، بيروت ١٩٣٣

الشعراء» بينه . وما كان وقت طويل الا رأينا هذا الكتاب الواحد الف كتاب وكتاب . فما الخبر ؟ وما هذه الاعجوبة ؟ ... ذلك ان « انتم الشعراء » احدث اسلوباً ، في النقد ، جديداً او قل عاون على تكوين اسلوب نقد كان لم يزل غامضاً بحد .

أما صفات هذا الاسلوب الجديد فالسباب والشاتم ، والتهمم المستهجن ، والفكاهات المزعجة ، والتضليل . واما صفات اربابه فالتخمين ، والنزور ، والأدعاء والاعلان .

قلنا ان السباب والشاتم هي من صفات هذا الاسلوب ، وان ترفضا عن ذكر ما سئل منها وانحط مراعاة لحرمة القراء الكرام ، فلا يسنا الصبر دون ايراد مثل او اثنين للاستشهاد . وهي ، والحق يقال ، قليلة في كتاب الريحاني ، على كونها من الصنف الثاني عنده ، ولكنه ليس بريئاً منها كما يشهد عليه قوله^(١) : « والنتيبي سيد الكذابين لانه لم يشب في سن العشرين وكان في الارض من المتكبرين . » وتريد شيئاً فشيئاً في ابنا . مدرسته النقدية قراها مع منتقدي « انتم الشعراء » على نحو هذا^(٢) : « اين كان فيلسوفنا صاحب الريحانيات عندنا . كان الاخطل الصغير يستنض المسم للذود عن حقوق الوطن . . . وماذا كان يعمل في الصحراء . وفي وطن العم سام ذو الوجهين واللسانين »

ونحجم عن ذكر ما جاء في « صوت الاحرار » البيروتية فيما يخص الاب لويس شيخو اليسوعي حيث لم يراع الشاتم في الاب شيخو حرمة ما من حرمت الدين والعلم والكبر التي اتصف بها هذا الاديب الكاهن .

اما التهمم المستهجن والفكاهات المزعجة فجميعها على مثال : « اجل ان الطييفة نفسها تبكي معهم — اي مع الشعراء — فهام الحمام التراح . . . وأحرفان الحزينة المدة للذبح وهي انصار الشعراء بالبيكا . »^(٣) وهذا : « واما انت يا فيلسوف الفريكة باقه عليك تقدم الينا مرعاً فان تجر الدموع اوشك ان يفرقتنا في لججه العميقة »^(٤) .

(١) اجل نحن الشعراء : ص ٤٥

(٢) اجل نحن الشعراء : ص ١٠٦

(٣) انتم الشعراء : ص ٦٥

(٤) انتم الشعراء : ص ٦٤

هذا وان قلنا ان احدى صفات النقد الحديث التضييل ظياه نعني لا -واه . ان هذه الصفة مجتمة في مؤلفات « الامام » الريحاني ولها عنده مجال عديدة فثارة ترى تضييله اجتماعياً وذلك حين يقول : « اننا والحق يقال اكثر بكاء ، ولشد انتحاباً من جميع الشرب . . . انه لمرض يفوق انتشاراً كل امراضنا . . . بل هو الربا . الاخبث . فتراه بفكك بالسياسيين وروساء الدين كما يفكك بالادباء والتجار والفلاحين ، هو وباء الدموع وباء النجيب والنواح . »^(١) وثارة ترى تضييله ادبياً كتحل رجال الادب المظالم ما ليس لهم مما يصلح لاية الناقد ، او كذكر كلامهم دون الاشارة الى مصدره ، او الاشارة الى ذلك المصدر بقول مبهم ظاهض يزيد في تضييله الاول تضييلاً جديداً .

وذلك حين يقول^(٢) : « قال سنت يوف ما مائة » - ويذكر هنا الريحاني حديثاً طويلاً لسنت يوف عن مرسه - وفي الحتام يشير الى المصدر قائلاً : « راجع مقالاً لسنت يوف في الفرد ده مرسه »^(٣) او يقول :^(٤) « وقد قال النقادة الاكبر تان . . . وعندما ذكر المصدر قال : « في كتاب تاريخ الاداب الانكليزية » . ولم يتفرد الريحاني في التضييل هذا بل اتبعه عليه بعض افراد من مدرسته ليسوا بالقليلين . وقد بزّه في هذا المضار « ٤٢ فروخ » وخاصة في تحامله على الاب شيخو^(٥) .

هذه هي بعض صفات النقد الحديث الذي ساعد في تكوينه مساعدة تذكر الريحاني في « انتم الشعراء » . ولا يعني الاتيان على جميع ما فيه لان هذا الاسلوب لم يزل في طور تطور وانقلاب . اما صفات اربابه فالواها التضمين والتقدير كما قلنا . اجل ان الناقد البيروتي الحالي مغتن ، بل نبي ، قبل كل شي . ، ولكنه مختم على طريقة له حديثة ايضاً فهو لا يحتاج الى سابق علم ودراسة لاطلاق احكامه الادبية . فما اسرعه قائلاً دون تردد او تحفظ : « لا اظنك تجد من الدموع في

(١) انتم الشعراء : ص ٦ (٢) انتم الشعراء : ص ٦٩ السطر الثاني عشر

(٣) انتم الشعراء : ص ٧٠ السطر الاخير (٤) انتم الشعراء : ص ٧١

(٥) اطلب البشير الممدد ٤٦٤٦ ، في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٣

شمر الامم الاوربية كلها مقدار نصف ما مندنا في الشعر العربي . ولا اظنني في ما اقول مبالغاً » .

لم يكلف الريحاني نفسه الم البحث والتنقيب عمّا في شعرنا من « الشعر البياكي » . كما يقول — وعمّا في شعر الاوربيين منه ، بل اطلق حكمه بهذا على سبيل التخمين فجاء تخمينه مخالفاً للواقع ، ويا للأسف ! ومثل هذا التخمين كثير في « اجل نحن الشعراء » وغيره من المقالات الانتقادية الحديثة . ولا يخفى ان سبب ذلك حب الكيل والتضليل ، وكره الحقيقة العلمية والإمانة الادبية ، وكل هذا لما يحط من قدر الاديب الناقد ويؤذيه بسمته وشهرته .

لم يتفرد نقدتنا اليوم بالتخمين ، بل ضنوا اليه الفرور والادعاء والاعلان . ولين الفرور والادعاء باقل من التخمين عند هؤلاء النقدة . . . فالكل عندي امام . . . والكل ثقة . . . والجميع لا يشق لهم غبار في مجالات القلم ، فن اعلان عمر فروخ « تمزيق الاب شيخو وزكه تمزيق غيره من الادباء » ، الى اقسام ابي شبكه على « وضع التوراة في الميزان » الى . . . الى . . . ترى الفرور والادعاء متجليين باجلى مظاهرهما .

وما الاعلان الا نتيجة الادعاء والفرور . . . انا . . . انا . . . فكل ناقد حديث عندي خطة يتلوه على رؤوس الملاء . وكل من نقدتنا مجدد . . . محدث . . . وكلهم الهادم الباني . . . المصلح . . . وخير مظهر للتثب من حب الاعلان عند هؤلاء عناوين مقالاتهم . ونظرة واحدة الى « صفعات الادب » في جرائدنا تبين ان معظم نقادنا من اصحاب « الاءانات » ، ليس غير .

ييجرتنا هذا الى الاستنتاج ، بكل أسف ، ان اكثرهم ننوا اساليب النقد الفني ، وآثروا عليها الشائم والتباني ، واخذوا في سباق ليس له مثيل في طبقة من الشعب تضن بسمتها الادبية ان تتذلل . . . فتعقلوا يا منشر الادباء ا